الفصل الثالث

دور مستعمرة عدن في التغيير الثقافي في اليمن

إذا كان الاستعمار البريطاني قد حرص على أن يمسك باستقلال المملكة اليمنية من خلال التحكم في الدخول إلى البلاد والخروج منها وفي الحركة التجارية، فإن مستعمرة عدن قد كانت أيضا بوابة التغيير في اليمن كلها على المستوى السياسي وعلى المستوى الثقافي، لأنها كانت النافذة الوحيدة المتاحة لليمن واليمنيين على العالم الحديث، ومن ثم على تأثيرات الليبرالية الغربية والحضارة الحديثة، وحتى على البلدان العربية التي سبقت اليمن في الإطلال على التحديث ومغادرة سجن الماضي المظلم.

ففي عدن نشأ أول حزب سياسي يمني، لم يكن قد وجد مثله حتى في مستعمرة عدن والمحميات البريطانية الغربية والشرقية، هو حزب الأحرار سنة **1944** بقيادة الزعيمين الوطنيين مُحَمَّد محمود الزبيري وأحمد مُحَمَّد نعمان كما أشرت آنفا. ويمكن القول إن التسمية في ذاتها مستمدة من ثقافة الأحرار اليمنيين المتأثرين بحركة التحرر العربية الموجهة للمطالبة بالاستقلال الوطني وتأسيس أنظمة ديمقراطية ليبرالية في بلدان مثل مصر وسوريا والعراق، مثلا. وهو ما أدركه الاستعمار البريطاني فتعاون مع المستبدين في صنعاء لوضع نهاية مبكرة لهذا الحزب ومنع نشاطه بعد شهور قليلة من إعلانه.

لكن حركة الأحرار المستنيرين المعارِضة، التي كانت ما تزال في بداية محاولات العمل المنظَّم، نجحت في الالتفاف على هذا المنع بتأسيس "الجمعية اليمانية الكبرى" كبديل لحزب الأحرار الذي مُنِع، مع المحافظة على المبادئ نفسها التي قام عليها الحزب ونفس الناشطين تقريبا، ونفس القيادة، باستثناء من يئسوا بسرعة وتخلوا عن حركة المعارضة في عدن وعادوا أدراجهم من حيث أتوا.

وكان البريطانيون قد أدخلوا إلى مستعمرة عدن مطبعة سنة **1853** لتغطية احتياجات السلطات الاستعمارية في المستعمرة، كما شهدت عدن بداية ظهور المنظمات الاجتماعية

وصدور الصحافة الحديثة وأهمها صحيفة "فتاة الجزيرة" كصحيفة مستنيرة تسير على هدى الصحافة العربية الحديثة في بيروت والقاهرة.

فقد أسس مُحَمَّد علي لقمان في سنة 1932 صحيفة أسماها "شمسان"، ولكن أهم إنجازاته تأسيس صحيفة "فتاة الجزيرة" الشهيرة التي قامت بدور مهم في إيقاظ الوعي المستنير وفي التأسيس للصحافة في مستعمرة عدن وفي مملكة اليمن من خلال مساعدتها لصدور صحيفة "صوت اليمن" الناطقة باسم حركة الأحرار اليمنيين المعارِضة سنة 1946، قبل أن تمتلك المعارضة اليمنية مطبعتها الخاصة وتصدر بها صحيفتها.

وتولى إصدار صحيفة "فتاة الجزيرة" صحفيون مستنيرون مطلعون على تطورات العالم. وقد كانت هذه الصحيفة خير عون لحركة الأحرار المعارِضة من خلال السماح لها أولا بنشر آرائها ومتابعة أخبارها وطبع صحيفتها الخاصة حتى جمع بعض المغتربين في إثيوبيا الأموال لشراء مطبعة خاصة أصدرت "صوت اليمن" ومطبوعات المعارضة. وتواصل فيما بعد إصدار الصحف الحزبية والمستقلة والمشاريع الصحفية الفردية في مستعمرة عدن حتى الاستقلال وخروج البريطانيين سنة 1967.

ومن ذلك مجلة "الأفكار" الشهرية لمحمود علي لقمان عام 1945، وصحيفة الفضول التي أصدرها عبدالله عبدالوهاب نعمان، ومجلة "المستقبل" في 1949 لعائض سالمين باسنيد وحررها عبدالله باذيب. ومن الصحف التي صدرت في الخمسينات صحيفة "البعث" في 1955، ورئيس تحريرها مُحَمَّد سالم علي، التي اهتمت بنشر الوعي النقابي المهني، وصحف "القات" و"الفكر" و"العامل" التي نشأت بانتعاش الحركة النقابية سنة 1956 وتعبيرها السياسي الجبهة الوطنية المتحدة، وصحيفة "الفجر" سنة 1957، وأول صحيفة يومية وهي "اليقظة" التي أصدرها عبدالرحمن جرجرة سنة 1956، وصحيفة "الأيام" لمحمد علي باشراحيل في 1958. وظهرت صحيفة "الصباح" في 1966. لكن جميع الصحف الخاصة قد توقفت بعد الاستقلال مباشرة. وبدأت مرحلة جديد مختلفة تماما عما شهدته مستعمرة عدن من ازدهار التعددية الصحفية والثقافية في الخمسينات.

النوادي والاتحادات والجمعيات

لم يهتم الاستعمار البريطاني بنشر التعليم في المستعمرة واكتفى بشيء من التعليم المتدني الذي يقتصر الالتحاق به على أبناء من ولدوا في عدن من اليمنيين وغير اليمنيين، لكنه حرم الغالبية الساحقة ممن حكم عليهم الحظ غير السعيد بالولادة في المحميات وفي شمال اليمن. وحتى التعليم الذي وفره الاستعمار لم يتجاوز المرحلة الثانوية فكانت "كلية عدن" أعلى مراحل التعليم في المستعمرة ولا يصل إليها إلا المحظوظون، وهي مدرسة ثانوية وحيدة لا تكفي للاستجابة لحاجات الطلبة في مدينة كبيرة. وحين يتخرجون منها لا توجد مراحل دراسية أعلى منها، ومن يستطيع إرسال أولاده للدراسات العليا في الخارج على نفقته نادر.

وهكذا حُكِم على غالبية الأطفال في عدن أن يبقوا أميين وألا يتمتعوا بحق التعليم. ولذلك اجتهد السكان، وحل الجهد الأهلي مكان التعليم العام. ونشأت في البداية "معلامات" ملحقة بالمساجد. وتطور الجهد الأهلي إلى إنشاء مدارس ونوادٍ وجمعيات واتحادات تعاونية لتسد العجز في مجال التعليم والتثقيف في مستعمرة عدن، وامتد تأثيرها إلى بعض الأرياف القريبة منها كما سنوضح لاحقا.

وهكذا ظهر في مستعمرة عدن عدد من النوادي الأدبية كان أولها "نادي الإصلاح العربي" في التواهي سنة **1930** برئاسة مُحَمَّد علي لقمان وإدارة مُحَمَّد سعيد الأصنج[78]، والذي نصت المادة الثانية من نظامه الأساسي (فقرة أ) على "تشجيع نشر التعليم والثقافة عن طريق اقتناء الكتب والمجلات وإلقاء المحاضرات وتأسيس الحلقات الأدبية. وتكوَّن أيضا "مؤتمر الخريجين"، الذي تنص المادة الثالثة من "دستوره" على أهدافه، ومنها رفع المستوى الثقافي ونشر الوعي الاجتماعي عند المواطنين (وليس عند الأعضاء فقط) وتوعية الأعضاء والمواطنين بقضايا بلادهم عن طريق البحث والتحليل والمناقشة وتبادل وجهات النظر والنشر وغير ذلك من الوسائل.

ونشأت جمعية المرأة العربية في عدن سنة **1963** وشعارها "وطن واحد، مسئولية واحدة" وهدفها الرد على محاولات إقصاء النساء العربيات في عدن وفرض النساء غير العربيات في النشاطات العامة.

---

[78] علي محمد عبده، لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، ج1، ص. 112.

وتأسست مدرسة النهضة العربية في الشيخ عثمان (مستعمرة عدن)، سنة 1948. وينص نظامها الأساسي على أهدافها ممثلة ب– "القيام بإدارة مدرسة النهضة العربية في الشيخ عثمان والعمل على كل ما يحقق للمدرسة المذكورة النجاح والنظام والاستقرار وكذلك التعاون مع أي سلطة رسمية أو هيئة شعبية لتحقيق هذه الغاية سواء بواسطة تطوير المدرسة المذكورة وإنشاء مدارس أخرى وإنشاء المكتبات الثقافية والندوات العلمية إلى غير ذلك مما يمت بصلة إلى الأهداف المذكورة أعلاه"[79].

وتم تأسيس مشروع شعبي لمساندة الطلبة، لجمع التبرعات بهدف الاهتمام التربوي بالطفولة وشغل أوقات فراغهم في العطل الرسمية وتشجيع إنشاء رياض أطفال في مستعمرة عدن.

ونشأت كذلك جمعيات تعاونية لمساجد المعلا والتواهي والشيخ عثمان.

وفي 1949 نشأت "الجمعية العدنية" التي تمثل مؤسسة أهلية تجمع بين الجمعية والتعاونية والحزب السياسي، وينص قانونها الأساسي على أن تمثِّل مصالح العدنيين بالتعاون مع السلطات في مستعمرة عدن.

وفي سنة 1951 تأسست "رابطة أبناء الجنوب". ولا يحدد دستورها ما إذا كان الجنوب العربي أم الجنوب اليمني. ولعل هذا الغموض سبب بدء بعض الوطنيين والقوميين واليساريين حياتهم السياسية فيها مثل قحطان الشعبي الذي سيصبح فيما بعد زعيما للجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل، وعبدالله باذيب الذي سيصبح صحفيا يساريا لامعا وزعيما لاتحاد الشعب الديمقراطي، كمنظمة يسارية يمنية. وتنص الفقرة د. من دستور الرابطة على "رفع مستوى الجنوب من النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية". ولا ينص الدستور على أن تكون الرابطة حزبا سياسيا.

أما في 1957 فقد نشأ "حزب الشعب التقدمي" ولأول مرة ينص دستوره على تسمية "الجنوب العربي" كما تنص المادة الرابعة (فقرة ب) من دستوره على أن الحزب "يلتمس" الوسائل "الدستورية السليمة لتحقيق مستوى ثقافي أرقى لمختلف الطبقات".

---

[79] يحيى قاسم سهل، المجتمع المدني في عدن، ص. 468 . 508.

وتم تأسيس الأحزاب السياسية العلنية مثل حزب الاستقلال، وحزب الأحرار العربي التقدمي، وحزب الأحرار الديمقراطي، وحزب الشعب، وكلها متعاونة مع الاستعمار البريطاني. وتأسست النقابات العمالية المهنية وتصارعت فيما بينها بسبب تسرب الأحزاب السياسية إليها ومحاولة كل حزب كسب النقابات إلى صفه ومشاركة النقابات والعمال في الكفاح من أجل نيل الاستقلال.

وتكونت المنظمة المتحدة للشباب اليمني، وهي المنظمة اليسارية التي عُرِفت بمنظمة عبدالله السلفي، ذات الهوية اليمنية الواضحة التي ينص دستورها في مادته الأولى على "نشر الثقافة الوطنية" كما تنص المادة الثالثة على "رفع مستوى الشباب الثقافي وزيادة معرفتهم ببلادهم... وإلقاء المحاضرات وتنظيم الندوات الفكرية وتشجيع النشاطات الثقافية المختلفة"[80]. وفي السنة نفسها، أي 1961، نشأ "الاتحاد الشعبي الديمقراطي" بقيادة الزعيم اليساري عبدالله باذيب الذي كان سنة 1959 منفيا من مستعمرة عدن إلى تعز، وهو حزب يرفع شعار "نحو يمن حر ديمقراطي موحد" ويطبق ما دعا له مؤتمر الطلبة اليمنيين الدائم في مصر سنة 1956 من تلاحم اليمنيين في النضال لتحرير الشمال من الاستبداد وعدن والمحميات من السيطرة الاستعمارية لبناء يمن ديمقراطي موحد. ولا يعتبر الاتحاد الشعبي الديمقراطي نفسه حزبا بل تجمعا وطنيا.

وفي 1956 نشأ في عدن حزب البعث العربي الاشتراكي، قطر اليمن، ولكنه كان سريا وإن كان نشاطه ملموسا في النقابات وفي المجتمع.

ونشأ كذلك حزب علني يسمى "حزب الشعب الاشتراكي" الذي ينص دستوره على أن "إقليم اليمن الطبيعي جزء من الوطن العربي"[81].

وتأسست في عدن حركة القوميين العرب في سنة 1959 التي أعدت لإنشاء الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل وانطلاق ثوة التحرير حتى نيل الاستقلال.

---

[80] نفسه، ص. 508 . 611.

[81] نفسه، ص. 612 . 635.

الجمعيات ونوادي المناطق

لقد كان للنوادي الأدبية والجمعيات والأحزاب السياسية التي عرضناها آنفا تأثير كبير في أوساط السكان في مستعمرة عدن، وبخاصة أولئك القادمين من الأرياف القريبة. ولذلك تكونت في عدن، بتأثير من الأنشطة الأدبية والاجتماعية، جمعياتٍ ونوادي واتحادات أنشأها أبناء المناطق الواقعة في مملكة الظلام، وأغلبها في مناطق ريف تعز. فقد كان بعض أبناء هذه المناطق ينشطون في الجمعيات والنوادي العدنية وحتى في الأحزاب السياسية، بعد أن سكنوا في عدن. وكان من الطبيعي أن يصبحوا من أهلها، وبعضهم ولدوا فيها ويحملون شهادة ميلاد في عدن دون أن يقطعوا صلاتهم ببعض أبناء مناطقهم. وقد درج من كتبوا عن هذه الجمعيات والنوادي على تسميتها ب–"الجمعيات والنوادي القروية" مع أنها لا تجمع أبناء كل قرية على حدة، بل تجمع أبناء مناطق أو تقسيمات إدارية محلية، أو أبناء كل عزلة، مثل الاتحاد العبسي لمنطقة الأعبوس، والاتحاد الأغبري لمنطقة الأغابرة، واتحاد الأعروق لعزلة الأعروق، والاتحاد الذبحاني لعزلة ذبحان، والاتحاد الشيباني لمنطقة بني شيبان، والجمعية الخيرية لأهالي حبيش، ونادي أهالي ردا‌ع، والاتحاد الشوافي لأبناء الشويفة، ونادي اتحاد المقاطرة، ونادي الاتحاد القرشي، وجمعية اتحاد الزريقة، والاتحاد القدسي، وجمعية بني حماد، وجمعية التعاون للقبيطة واليوسفيين، وأمثالها من الاتحادات والجمعيات الخاصة بكل منطقة.

"وقد أسَّسَت هذه الأندية يومها ما يمكن أن نسميه الضمان الاجتماعي، إذ أن كل نادٍ منها جعل من مقره مأوى لكثير من العمال والطلبة، وقدم المساعدات المادية للمرضى الذين يفدون من القرى للعلاج في عدن، كما قدم (بعضها) القروض المالية (بحسب القدرة) للعمال العاطلين عن العمل ريثما يحصلون على أعمال، وفتح (بعضها) فصولا دراسية مسائية لتعليم الطلبة والعمال اللغة الإنجليزية (لتسهيل الدراسة أو الحصول على عمل)"[82].

صحيح أنها تكونت في مستعمرة عدن وبدأت نشاطها لمساعدة المهاجرين في المستعمرة في تبادل المعلومات عن فرص العمل المتوفرة، واللقاء الأسبوعي أو الدوري لتبديد مشاعر الغربة عن الأهل، ولكنها في الوقت نفسه وفرت فرص إيواء المنقطعين، ومساعدة المحتاجين عند الضرورة، وأتاحت فرصا للقراءة والتثقيف ونشر الوعي بين الأعضاء، والأهم أن لجميع هذه الاتحادات والجمعيات، التي يعود تاريخ نشأة بعضها إلى الأربعينات وتواصل

[82] علي محمد عبده، نفسه، ص. 114.

ظهورها في الخمسينات، نظما أساسية و"دساتير" تنص صراحة على العمل لإنشاء مدارس في مناطقها ومساعدة هذه المدارس بما تحتاج إليه من مستلزمات دراسية.

فقد نصت الفقرة 3 من المادة الثالثة من نظام الاتحاد الشيباني الذي أنشئ في عدن سنة 1946 على "إنشاء مشاريع خيرية في الوطن (أي في بني شيبة) من فتح مدارس وحفر آبار... وتشجيع تعليم أبناء الوطن في عدن على نفقة النادي أو بمساعدته بعدن، وشراء ما تحتاجه من كتب ودفاتر وجميع أدوات التعليم التي توزع بين التلاميذ سواء في اليمن (في بني شيبة) أو في عدن"[83]. ومما يستحق الملاحظة أن تكوين الاتحاد الشيباني قد تم في السنة التي أنشأت فيها حركة الأحرار المعارِضة بقيادة أحمد مُحَمَّد نعمان ومُحَمَّد محمود الزبيري "الجمعية اليمانية الكبرى"، وهي الجمعية التي نشطت للمساهمة في الحركة الدستورية التي قامت بعد ذلك بسنتين.

وفي سنة 1947 تأسس في عدن نادي أهالي ردا ع وينص "قانونه"، في مادته الأولى، الخاصة بما سمها "مرامي النادي"، على "تشجيع الفضيلة ومحاربة الرذيلة بالوعظ والإرشاد وتنوير الرأي العام وتثقيفه". وللنادي مكتبة لها مدير مهمته تنظيمها بحيث لا يخرج الكتاب إلا برخصة خاصة من مدير المكتبة، "أما الجرائد فيجب توزيعها على من يريد من الأعضاء ولكن بعد يومين من وصولها من الخارج بشرط أن تُرَدَّ بعد يوم أو يومين فقط"[84]. وينبغي ملاحظة أن علي الأحمدي، أحد وجهاء النادي، قد قام بدور مهم في حركة الأحرار الدستوريين وتولى في مرحلة معينة الأمانة العامة للاتحاد اليمني المعارِض، وأصبح عند قيام الجمهورية وزيرا للإعلام وقُتِل بعد قيامها بشهور قليلة وهو يحارب في منطقة ردا ع دفاعا عن الجمهورية الوليدة.

وفي السنة نفسها تكوَّن نادي الاتحاد الشوافي (اتحاد أبناء الشويفة) وله قانون يتصدره بيت من شعر أحد زعيمي حركة الأحرار المعارِضة، هو مُحَمَّد محمود الزبيري، تقول:

جـودوا بأنفسـكم للحـق واتحـدوا في حزبـه وثقـوا بالله واعتصـموا

وهذا يشير إلى علاقة ما للنادي بالمعارضة أو أن أفكار المعارضة ومطالبها تصل إليهم. وينص قانونه في الفقرة الثانية من الأغراض على أن النادي ينوي "إذا واتته الظروف

---

[83] نفسه، ص. 347.

[84] نفسه، ص. 356 . 359.

إيجاد مشاريع خيرية في بلاد الشوافي كفتح مدرسة أو مدارس... ثم العمل على تكوين بعثة من الطلاب يدرسون في مدارس عدن، على نفقة النادي ومساعدة ذويهم، حتى يكسبوا المؤهلات البدائية (الأولية) التي يتمكن النادي معها من تسفيرهم للدراسة في البلاد العربية كمصر أو العراق"[85]. ومن أبرز مَن بعثهم الاتحاد الشوافي للدراسة في مصر الأديب والشاعر أحمد الجابري، الذي ألف كلمات أغان للكثير من الفنانين في عدن ذاعت شهرتها.

وفي سنة 1950 تم إنشاء نادي الاتحاد الأغبري ووُضِع له "قانون أساسي" ينص في الفقرة الثالثة من مادته الأولى على "العمل على إيجاد مشاريع خيرية كفتح المدارس وإرسال البعثات إلى الخارج وغير ذلك"[86]. وقد حصل الاتحاد على عشر منح للدراسة في مصر، ومن أشهر المبعوثين الذين أرسلهم للدراسة على نفقته الطبيب اليساري المشهور فيما بعد مُحَمَّد قائد الأغبري (كان والده أحد الفدائيين الذين أرسلتهم حركة الأحرار المعارِضة من عدن للدفاع عن الحركة الدستورية عام 1948 وبعد فشلها تعرّض للسجن في القلعة في صنعاء إلى أن خرج وعاد إلى عدن وعمل في صفوف المعارضة). وقد أصبح الطبيب مُحَمَّد قائد وزيرا للصحة في العهد الجمهوري ومسئولا في منظمة الصحة العالمية في شرق المتوسط ومن أشهر الأطباء اليمنيين حتى وفاته سنة 1986. وممن بعثهم الاتحاد الأغبري أيضا أحمد مُحَمَّد ثابت، الذي أصبح شابا يساريا ومصرفيا شهيرا في العهد الجمهوري، وبخاصة في أول بنك يمني تأسس في صنعاء بعد قيام الجمهورية مباشرة، وهو البنك اليمني للإنشاء والتعمير.

و"قد اهتم النادي يومها بنشر التعليم في عزلة الأغابرة، فقرر رواتب شهرية لكل المعلمين في (معلامات) قرى الأغابرة، وبنى مدرسة في قرية المعصرة، ولا تزال تحمل اسم النادي.... وكان التعليم إجباريا" على الأولاد في القرى. وسعى لإرسال طلبة للدراسة في العراق. وتأسست حلقة أدبية في هذا النادي في التواهي باسم "كرمة أبي العلا"[87].

كما ساعد المهاجرون في مستعمرة عدن في تأسيس "مكتب الفلاح" في حيفان بإشراف عبدالله عبدالإله الأغبري، الذي كان قد اكتسب خبرة في مدارس جيبوتي الحكومية، فعمل المكتب على غرس قيم التعليم في ريف محروم.

---

[85] نفسه، ص. 363.

[86] نفسه، ص. 463.

[87] علي محمد عبده، نفسه، ج1، ص. 114.

وفي سنة 1951 أُنشئ نادي التعاون العريقي وينص نظامه الأساسي على "تشجيع نشر التعليم والثقافة عن طريق اقتناء الكتب والمجلات والعمل على إيجاد مشاريع خيرية كفتح مدارس وإرسال بعثات (للدراسة في الخارج) حسبما تسمح به مالية النادي". وكذلك محاولة الاتصال المباشر ببقية النوادي والهيئات لبحث المشاكل العامة معا[88].

ويذكر يحيى قاسم سهل في كتابه بعنوان "المجتمع المدني في عدن" في الملحق رقم 8 قائمة بأسماء جمعيات ونوادي لا يرد سوى أسماءها دون تفاصيل أو نشر قانونها الأساسي كما فعل مع النوادي والاتحادات الأخرى، من بينها نادي الاتحاد الذبحاني[89]. لكن علي محمد عبده ينقل عن الأستاذ أحمد محمد نعمان تأسيس "نادي الإصلاح الأدبي" في التربة سنة 1934 "على غرار النوادي الأدبية القائمة في عدن، وكانت هناك اتصالات ومراسلات بين المسئولين عن المدرسة (مدرسة التربة التي أسسها نعمان) وبين المسئولين في النوادي الأدبية بعدن، يتبادلون فيها الرسائل والآراء والمنشورات حول التعليم وتطوره، وخاصة مع المسئولين في (نادي الإصلاح العربي) الذي كان له إلى جانب نشاطه الأدبي، من إلقاء المحاضرات وإقامة الندوات، اهتمامه بالجانب التربوي كما أسلفنا من فتح مدارس في عدن وإرسال الشباب لمواصلة دراستهم في الخارج"[90]. ويضيف أنه كان لنادي الإصلاح في التربة "قاعة للمحاضرات ومكتبة للقراءة تتوفر فيها الكتب الحديثة والمجلات المصرية الدورية أهمها الشورى، والجهاد، والمقطَّم، وكوكب الشرق، والأهرام" ترسل من عدن بانتظام، وكانت الكتب والمجلات تُوفَّر ليقرأها الشباب[91].

وفي سنة 1952 تأسست بالشيخ عثمان، عدن، جمعية اتحاد المقاطرة، وينص "قانونها"، في الفقرة 7 منه، على نشر الإصلاح والثقافة بين الأعضاء، وفي الفقرة التاسعة على التعاون والعمل مع الهيئات الرسمية والأندية والجمعيات في عدن "في كل ما فيه الصالح

---

[88] نفسه، ص. 457.

[89] نفسه، ص. 960.

[90] علي محمد عبده، لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، ج1، ص. 123.

[91] نفسه.

العام". كما ينص في الفقرة 11 على "استعمال الصحف والمحاضرات والنشرات والكتيبات وما إلى ذلك لتنفيذ أغراضها"[92].

وفي السنة نفسها (1952) نشأ نادي الاتحاد القرشي ومقره في الشيخ عثمان أيضا، وله "قانون" تنص الفقرة 3 من المادة الثانية منه على نية الاتحاد "إنشاء مشاريع خيرية من فتح مدارس... وإرسال بعثات علمية وتشجيع تعليم الأطفال ومساعدتهم وشراء ما يحتاجونه من كتب ودفاتر وجميع أدوات التعليم التي توزع بين التلاميذ"[93].

وفي سنة 1953 تأسست جمعية اتحاد الزريقة ووضع لها "نظام أساسي" ينص في الفقرتين الأولى والثانية من أهداف الجمعية على:

(1) "رفع مستوى الزريقة (كلها وليس أعضاء الجمعية فقط) ثقافيا واجتماعيا،

(2) تعليم أبناء الفقراء منهم" على اعتبار أن الموسرين يستطيعون تعليم أبنائهم. وللجمعية مكتبة تحتوي على كتب ومجلات وجرائد تُعَار بإذن من سكرتير الجمعية[94].

وفي السنة نفسها نشأت جمعية الاتحاد القَدَسي وينص نظامها الأساسي على أن من أهدافها رفع المستوى الاجتماعي والأدبي ونشر الثقافة الإسلامية عن طريق الكتب والمجلات والمحاضرات وإقامة الحفلات العامة في المناسبات الدينية والقومية والتعاون مع الجمعيات والهيئات والنوادي الأخرى. وللجمعية مكتبة تحتوي على كتب ومجلات وجرائد تعار بإذن من سكرتير الجمعية[95].

وفي سنة 1954 نشأ نادي الاتحاد القراضي (يضم أبناء الأقروض) الذي ينص نظامه الأساسي على أن النادي ينوي إنشاء مشاريع خيرية في الأقروض مثل فتح مدارس[96].

وفي السنة نفسها نشأت في عدن جمعية بني حماد الخيرية وينص قانونها على "محاربة الجهل ومكافحة الأمية بنشر العلم عن طريق بناء مدارس في أنحاء بلاد بني حماد عموما حيث تتعاون مع الحكومة اليمنية. وللجمعية أن تكوِّن لجنة خاصة تسمى لجنة التعليم. وعمل هذه

---

[92] نفسه، ص. 371.

[93] نفسه، ص. 379.

[94] نفسه، ص. 387 . 389.

[95] نفسه، ص. 392 . 397.

[96] نفسه، ص. 400.

اللجنة النظر في فتح مدارس أهلية في الجهات التي تقرها الجمعية وتتمول هذه المدارس مما يجمعه الأهالي في داخل بني حماد من الطعام (الحبوب) وقت الحصاد باسم نفقة التعليم وما تسمح به الحكومة اليمنية ثم ما تَقدِرُ عليه الجمعية كمعاونة[97]". ويلاحظ أن "قانون" هذه الجمعية مدروس بعناية، فهو يحرص على عدم الاصطدام بالسلطة داخل بني حماد حتى لا تمنع تنفيذ مشاريع الجمعية، كما أنه ينشئ لجنة مهمتها العمل على تنفيذ المشاريع المنصوص عليها في قانون الجمعية، ويُشرِك أهالي المنطقة في تمويل التعليم بأسلوب مبتكر يقدرون عليه عن طريق المساهمة العينية بالحبوب وقت الحصاد.

وفي سنة 1955 أنشئت جمعية التعاون للقبيطة واليوسفيين وينص نظامها الأساسي على أن من أهدافها رفع المستوى الثقافي والاجتماعي وتبني المشروعات الحيوية ومنها بناء المدارس في حدود إمكانياتها المادية[98].

وفي سنة 1960 نشأ نادي الاتحاد العبسي الذي نص "دستوره" في الهدف الثاني من أهداف الاتحاد على "رفع مستوى التعليم والثقافة في الوطن والمهجر"، في حين ينص الهدف الثاني على "إيجاد مشاريع خيرية في بلاد الأعبوس كفتح مدرسة أو مدارس"[99]. ويلاحظ أن النادي قد أطلق على نظامه الأساسي تسمية "دستور" التي كانت تعد كلمة ملعونة في مملكة الظلام. وهذا يعكس مستوى الوعي السياسي والقانوني لدى القائمين على النادي[100].

---

[97] نفسه، ص. 409.

[98] نفسه، ص. 437.

[99] نفسه، ص. 352.

[100] يذكر يحيى قاسم سهل في كتابه المذكور آنفا أسماء جمعيات ونواد دون ذكر تفاصيل أخرى، هي نادي الاتحاد الصلوي، ونادي الاتحاد العديني، ونادي الاتحاد الذبحاني، ونادي الاتحاد الأصبحي، وجمعية أهالي دبع، وجمعيات النور لشباب الأخمور، وجمعية أبناء الضالع الخيرية، والجمعية الوطنية الحضرمية، والجمعية الخيرية لأبناء العزاعز، وجمعية الاتحاد الشرجبي، وجمعية بني عمر، والاتحاد الأثوري. ومن المنظمات الثقافية في مستعمرة عدن يذكر، في الملحق السابع، أسماء الجمعيات التالية مع سنة تأسيسها: نادي الأدب العربي سنة 1925، ومخيم أبي الطيب سنة 1928، ونادي الإصلاح العربي في التواهي سنة 1929، وكرمة أبي العلاء المعري سنة 1949، وحلقة شوقي سنة 1942، ونادي الشباب الثقافي في الشيخ عثمان سنة 1947، ونادي الشباب

ويلاحظ أن بعض هذه الجمعيات والنوادي قد نشأ مبكرا مترافقا مع نشأة "الجمعية اليمانية الكبرى" في عدن بقياد زعيمي حركة الأحرار المعارِضة، الزبيري ونعمان، وجميعها تضع في أهدافها المساعدة في تعليم أبناء مناطقها في عدن وفي نشر التعليم في مناطقها، بل إن بعضها قد نص صراحة على العمل لإرسال طلبة من مناطقها للدراسة في الخارج، وبخاصة في مصر والعراق.

ولا نستطيع أن نقدِّر القيمة الكبرى لهذا الاهتمام العام وهذا الإلحاح على نشر التعليم والثقافة بين الأعضاء وفي المناطق في الداخل إلا إذا تصورنا الجهل الذي كان مفروضا داخل مملكة الظلام التي جاء الهاربون إلى عدن منها، وشيوع الأمية بين السكان، وعدم اعتراف النظام الإمامي بالحق في التعليم، وتعامله مع الجهل والأمية والتخلف الثقافي كأمر واقع. "ويمكن القول إن أروع الأعمال وأقوى التأثيرات هو محاكاة أبناء الشمال الأميين للمثقفين من الشباب في عدن في تأسيس النوادي ومجاراتهم في القيام بهذا النوع من المؤسسات الحضارية في عدن ونقلها إلى قراهم"[101].

ومن المعروف أن الكثير من أبناء هذه المناطق ممن كانوا قد سكنوا عدن على الأقل منذ ثلاثينات القرن العشرين (ويعود سكن بعضهم في عدن حتى إلى القرن التاسع عشر) وتزايد عددهم في الأربعينات والخمسينات، قد شاركوا في ازدهار الحركة النقابية في مستعمرة عدن خلال الخمسينات، لأنهم كانوا في الخمسيات ومطلع الستينات يشكِّلون أغلبية سكان عدن[102]. وانخرط أبناؤهم في المدارس الأهلية التي انتشرت في عدن وأصبحت تقدم خدمات تعليمية كبيرة مدفوعة التكاليف وبخاصة لأبناء القادمين من مملكة الظلام، مثل مدرسة النجاح التي أسسها الشريف الدباغ، في كريتر بجانب نادي الأدب العربي الذي تأسس كأول نادٍ أدبي في كريتر، عدن، وأسس مُحَمَّد عمر بازرعة مدرسة خيرية التحق بها الكثير من أبناء المهاجرين من مملكة الظلام ممن لا تتوفر لهم فرص الدراسة في مستعمرة عدن باعتبارهم غير مولودين

الأدبي في كريتر سنة 1942، والمنظمة المتحدة للشباب اليمني سنة 1961، والرابطة القومية للكتاب العربي في اليمن سنة 1962، ومنظمة الشباب العربي سنة 1963.

ص. 960.

[101] علي محمد عبده، نفسه، ج1، ص. 113.

[102] كتيب بلقيس منار المستقبل، الاتحاد اليمني، ص. 18.

فيها. كما تأسست مدرسة النهضة في الشيخ عثمان، وكذلك المدرسة الأهلية في التواهي وقام بجهد في بنائها مُحَمَّد سلام حاجب، من حركة الأحرار اليمنيين، وحمزة مُحَمَّد ناصر، وآخر هذه الجهود التعليمية "كلية بلقيس" التي كان صاحب الفكرة في إنشائها أحمد مُحَمَّد نعمان ومعه بعض الموسرين من المهاجرين إلى عدن من المرتبطين بقيادته للمعارضة، والذين خصصوا اشتراكات شهرية لتمويلها وتغطية رواتب المعلمين فيها[103] وحصلوا على أرضية وباشروا بناء الكلية فوقها بسرعة قياسية.

وقد حُدِّدَت فلسفة الكلية وسياستها في كتيِّب خاص نشرته المعارضة باسم "الاتحاد اليمني" احتفاءً بهذه المناسبة، يقول إن كل مدرسة تحمل رسالة، "ورسالة بلقيس هي تثقيف أبنائها وبناتها بصفة عامة، وتربيتهم بصفة خاصة". ويؤكد على تثقيفهم بأن العلم ليس وسيلة لوظيفة فحسب، بل إنه ضروري في الدرجة الأولى لإنسانيتهم ووطنهم وللعالم كله، ليكونوا مواطنين صالحين. ويتحدث عن تعليم المرأة قائلا إننا بتعليمها نساعد أنفسنا[104] مقدِّما دفاعا مجيدا عن تعليم المرأة وضرورته لها وللرجل وللمجتمع ككل.[105]

ويرى الكُتيِّب الصادر عن الاتحاد اليمني أن محاولات اليمنيين للتغيير قبل أن يتعلموا لن تنجح. ولهم عِبرة في العثرات التي صاحبت المحاولات السابقة. لأنهم ضحوا لصنع الجديد فارتطموا بواقع يخيم عليه الجهل وانهار كل شيء، ولذلك تلاشت جهودهم كالأحلام. ويرى أن اللعنة الحاسمة التي ينبغي أن يصبها اليمانيون على الظلم والقيد وعلى الظلام تتمثَّل في المدرسة والكتاب والقلم. فالعلم هو "لعنة الله ولعنة الضمير والعقل والإنسانية على الظلم وعلى الظالمين وعلى كل من يخالف العقل[106]".

وكتب أحمد نعمان، الذي كان العقل المدبر وراء إنشاء هذه المدرسة لاستيعاب أبناء المهاجرين في مستعمرة عدن وقام بحملة لجمع التمويل[107] وأشرف على سياستها دون أن

---

[103] علي محمد عبده، نفسه.

[104] كُتيِّب كلية بلقيس، نفسه، ص. 11.

[105] نفسه، ص. 28 . 30.

[106] نفسه، ص. 26.

[107] كان نعمان والزبيري رمزا للمعارضة وشكلا قيادة راسخة في كل الظروف لحركة الأحرار المعارِضة ضمنت لها التماسك في كل الأزمات، والانبعاث بعد كل ضربة قوية تعرضت لها،

يتولى فيها أي منصب وظيفي، مقدمة للكتيب الذي أصدره الاتحاد اليمني ليتضمن فلسفة الكلية وسياستها وأقسامها وطموحاتها. كما ألقى أحمد حسين المروني قصيدة بمناسبة افتتاح الكلية احتوت على بيت يكاد يحدد نوع التعليم الذي تقدمه الكلية بصورة لا لبس فيها ولا جدال:

انظروا الغرب كيف ساد على الشرق بعلمٍ، وكيف نال مرامه

وقد أنشأت الكلية الجمعيات بمختلف أنواعها، وأكدت على التثقيف العلمي والاجتماعي وأنشأت المسرح الدائم وأكدت على التنشِئة الديمقراطية والتعاونية.

ومما يستحق الملاحظة أن اثنين من وزراء الترابية في عهد الجمهورية كانا معلمين في كلية بلقيس، هما أحمد المروني ومُحَمَّد أنعم غالب، والثالث قاسم غالب أحمد عمل معلِّما فيها قبل أن ينتقل للتدريس في المعهد العلمي الإسلامي الذي أنشأه في عدن الشيخ الأزهري الكفيف مُحَمَّد سالم البيحاني، زميل نعمان في الدراسة الأزهرية في مصر.

وانهمك الكثير من أبناء هذه المناطق، التي أنشأت لها نوادي وجمعيات، في النهضة التعليمية الأهلية في مستعمرة عدن وفي الازدهار الثقافي والحراك السياسي والنقابي. فقد كان أغلب سكان عدن، سواء ممن يحملون شهادة ميلاد في عدن (المَخلَقَة الشهيرة) أم ممن لا يحملونها، من شمال اليمن[108]، ولذلك نجحت الجبهة الوطنية المتحدة سنة 1956 في مقاطعة

وربطت بينهما صداقة متينة وتفاهم تاريخي قل نظيره، تواصل حتى وفاة الزبيري سنة 1965. وكان إنشاء كلية بلقيس من المرات النادرة التي اختلفا فيها. فقد شهدت هذه الفترة، التي كان فيها نعمان منهمكا في حملة لجمع التبرعات لتمويل كلية بلقيس، انتفاضة قبلية في خولان وأراد المؤيدون لها الاستعانة بما للزبيري من مكانة لدى نعمان ليستخدم تأثيره على الموسرين من المهاجرين في جمع أموال وإعطائها لمشايخ خولان بحجة أنهم سيقومون بثورة بقيادة أحمد السياغي، نائب الإمام في إب الذي هرب إلى لحج، يدخلون بها صنعاء ويقضون على النظام الإمامي. لكن نعمان لم يكن مقتنعا بجدوى تلك التحركات القبلية، فرفض تشتيت جهوده وفضل إعطاء الأولوية لجمع تبرعات ومساهمات لتمويل مشروعه التعليمي ممثلا في كلية بلقيس (انظر التفاصيل في: علي محمد عبده، لمحات من تاريخ حركة المعارضة، ج2، ص. 213 . 216).

[108] بلقيس منار المستقبل، ص. 18.

الانتخابات التشريعية في مستعمرة عدن[109]. وقد سمحت لهم الجمعيات والنوادي التي أنشأوها بأن يمدوا تأثير الحركة الحضارية في مستعمرة عدن إلى مناطقهم، فأصبحت تلك المناطق بهذا الفعل امتدادا للحراك التعليمي والثقافي والسياسي في مستعمرة عدن. وحين جاء الكفاح المسلح لإخراج المستعمر البريطاني شارك الكثير منهم في العمل النضالي في عدن، سواء من خلال النقابات أم الأحزاب السياسية، وانتمى بعضهم إلى الجبهتين اللتين خاضتا الكفاح المسلح وتصارعتا حتى الاستقلال.

ويدل العدد الكبير لهذه الجمعيات والاتحادات، التي تضم أبناء العزل في منطقة جغرافية محدودة، على أنها قد كانت تستجيب لحاجة ماسة لدى المهاجرين إلى مستعمرة عدن، من حيث توفيرها لمراكز لقاء وتعاون وتبادل للمعلومات عن العمل والدراسة وأخبار القرى. واكتسبت أهمية عملية أكبر بقيامها، أو على الأقل قيام بعضها، بدور في تحمل مسئولية إيصال ما يرسل المهاجرون من نقود وثياب وأشياء عينية إلى أسرهم وفي كونها مكانا تصل إليه رسائل الأهل وأخبارهم، إذ كانت تحل محل البريد غير المتوفر إلى القرى والعزل.

وكان دورها في نشر التعليم محوريا، أولا بالنسبة للطلبة من أبناء المهاجرين، وثانيا في قرى المهاجرين عن طريق التعاون بين أعضاء الجمعيات والاتحادات من جهة والمواطنين القاطنين في قراهم وعزلهم. ولا شك أنها بهذه الجهود الأهلية قد أسهمت في تغيير ثقافة المهاجرين من حيث حركت فيهم روح التضامن والتعاون فيما بينهم وربطتهم بشكل أفضل بقراهم وجعلتهم عامل تحريك للبيئة التعليمية والثقافية الراكدة في مناطقهم.

---

[109] بدأ توافد سكان ريف تعز إلى مستعمرة عدن للعمل والبحث عن فرص جديدة منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر وتزايد تدفقهم في أربعينات وخمسينات القرن العشرين بازدياد دور ميناء عدن كميناء عالمي حُر، وما رافقه من انتعاش التجارة والبناء ونشأة الصحافة والنشاط التعليمي والثقافي. لكن دور ذوي الأصول الشمالية ومكانتهم بدأت بالتراجع عند الاستقلال بسبب إغلاق قناة السويس والانخفاض الخطير في دور ميناء عدن بعد أن فقد مكانته العالمية. وجاءت الإجراءات المتطرفة التي اتخذتها حكومة الاستقلال تباعا لتؤدي إلى تراجع الأنشطة التجارية والمصرفية وما رافقها من نزوح أغلب سكان عدن ما قبل الاستقلال، سواء إلى الشمال أم إلى بلدان النفط، فانخفض تواجد ذوي الأصول الشمالية إلى حدٍ كبير.

ومن هنا جاء دور هذه الجمعيات والنوادي قبل قيام الجمهورية في تهريب الكتب والمطبوعات إلى الداخل، فكانت القناة الرئيسية لتسرُّب المواد الثقافية ولنشر الوعي بالحاجة إلى التغيير وأن هذا التغيير لا يقبل التأجيل، وحين حدث التغيير الجمهوري تدفقوا بالآلاف لنصرته والوقوف بجانبه والتضحية في سبيله.

ومن المعروف أن الخوف من عقاب السلطات الإمامية وانتقامها من أهالي المغتربين في الداخل قد جعل هذه الاتحادات والجمعيات تنص في نظمها ودساتيرها على أنها لا تعمل بالسياسة، لكنها كما هو معروف قد كانت قنوات لتسريب الكتب والمطبوعات، بل وللنشاط الحزبي فيما بعد، على إثر نشأة الأحزاب السياسية الحديثة.

ومن الملاحظ أن حزب الأحرار قد حاول عند تأسيسه جعل هذه الجمعيات قواعد لنشاطه وقنوات لجمع التبرعات والاشتراكات. وحين منع البريطانيون حزب الأحرار تجاوبا مع طلب النظام الإمامي، أعاد الأحرار تنشيط حركتهم وأطلقوا عليها "الجمعية اليمانية الكبرى" لتكون جمعية وطنية مشابهة للجمعيات القائمة التي يعمل فيها أبناء المناطق المختلفة، وكأنما أرادوا أن يكونوا جمعية عامة على أن تكون جمعيات المناطق فروعا لها، لكي تستند "الجمعية اليمانية الكبرى" في نشاطها وفي تمويلها على هذه الجمعيات.

القصة والمسرح والشعر

وفي الصحافة التي نشأت في مستعمرة عدن بدأت القصة القصيرة والرواية. ففي مطبعة "فتاة الجزيرة" نشِرت في الأربعينات أول رواية بعنوان "سعيد" لمحمد علي لقمان ثم رواية "يوميات مبرشت" لعبدالله الطيب أرسلان. وفي مستعمرة عدن كتب علي مُحَمَّد عبده (ابن أحد الفدائيين الذي استقدمتهم حركة الأحرار من عدن من بين المرتبطين بنوادي المناطق التي تحدثنا عنها آنفا إلى صنعاء ليدافعوا عن الحركة الدستورية في **1948** وفقد حياته في صنعاء. فارتبط ابنه بحركة الأحرار وعمل فيها حتى قيام الجمهورية) رواية "حصان العربة" التي نُشِرت مسلسلة في صحيفة الكفاح سنة **1959**، وموضوعها معاناة المهاجرين من مملكة الظلام هربا من الظلم والفقر وانعدام فرص العمل، وعملهم في مهن شاقة لكسب عيشهم. ونُشِرت بعدها رواية "مذكرات عامل"[110] للكاتب نفسه الذي ارتبط في تلك الفترة بازدهار الحركة النقابية في مستعمرة عدن. ومن هذا الباب يمكن اعتبار نشر روايتي مُحَمَّد عبد الولي

[110] وهبية صبرة، البنية الروائية في يموتون غرباء، ص. 30 . 40.

يموتون غرباء سنة 1971 مسلسلة في صحيفة "الشرارة" الصادرة في المكلا، ورواية "صنعاء مدينة مفتوحة" سنة 1973 في مجلة "الحكمة" الناطقة باسم اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، استكمالا لهذا الدور الريادي لعدن. وقد كان من الطبيعي أن يكون ظهور القصة القصيرة والرواية مرتبطا بازدهار الصحافة الليبرالية الحديثة في عدن ابتداء بصحيفة "فتاة الجزيرة" ومطبعتها وحتى تعدد الصحف في الخمسينات والنصف الأول من الستينات. فليس من الممكن أن تزدهر القصة القصيرة والرواية في مجتمع تقليدي منغلق لا وجود لحركة ثقافية فيه.

وفي مستعمرة عدن ظهر المسرح في اليمن. حيث يعيد سعيد عولقي في كتابه "سبعون عاما من المسرح في اليمن" بداية المسرح إلى العشرينات من القرن العشرين حين قُدِّمت مسرحية "شهداء الغرام" التي اقتبسها نجيب حداد من مسرحية "روميو وجولييت" لوليام شكسبير. "وفي الفترة بين سنة 1926 و1940 تكونت العديد من الفرق المسرحية ولكن معظم نشاطها لم يتعد مسرحية أو مسرحيتين في العام الواحد" وكان يقوم بالتمثيل فيها هواة أحبوا المسرح واهتموا به. فقُدِّمت مسرحية "صلاح الدين" عام 1929، وفي عام 1933 قدمت مسرحية "القائد المغرم" في نادي الإصلاح العربي، ومسرحية "فتاة الغار" وكذلك مسرحية "عجائب الأقدار".

وفي سنة 1933 تكون فريق مسرحي برئاسة مُحَمَّد عبدالله الصائغ اهتم بتثقيف نفسه من حيث قراءة النصوص المسرحية العربية وقدم مسرحية "وفاء العرب" التي لاقت نجاحا وتواصل عرضها كل أسبوع لمدة أربعة وعشرين أسبوعا. ونافسه فريق آخر برئاسة نايف حسين السوقي وعرض نصين مسرحيين لجرجي زيدان بعنوان "مجنون ليلى" و"فتاة الأندلس".

وتكون فريق مسرحي برئاسة مُحَمَّد عبده الدقمي، قدم سنة 1939 مسرحية "يوسف الصديق" التي تعرضت لانتقاد رجال الدين بسبب عرضها لقصة دينية. لكن الفريق نفسه عرض في السنة نفسها مسرحية "غرام وانتقام" من إخراج عبدالله أبكر حسين. ثم قدم بعد شهرين مسرحية "عنترة بن شداد". ونظرا لعدم توفر العنصر النسائي قام علي مُحَمَّد الدُّبَعي بدور عبلة وكان ذلك عملا جريئا في تلك الفترة المبكرة.

وفي العام نفسه قدمت فرقة الصباغين مسرحية "الخيانة والوفاء" التي اهتدت إلى دور الغناء في جذب الجمهور للإقبال على المسرح. ثم قدمت الفرقة نفسها سنة 1940 مسرحية

"عجائب الزمان" من إخراج مُحَمَّد أحمد حيدرة التي اعتُبِرت في حينها "حدثا فنيا بارزا في إخراجها وتمثيلها"[111].

وفي سنة 1944 عرضت على مسرح "سينما ريجال" مسرحية علي بك الكبير المستمدة من المسرح المصري وأخرجها الشاعر المعروف مُحَمَّد عبده غانم. وهذه هي المرة الأولى التي ينشغل فيها بالمسرح كادر مثقف هو مُحَمَّد عبده غانم الذي درس الأدب العربي في الجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج منها سنة 1932. لكن المسرح تراجع بعد عرض هذه المسرحية. وكانت أكبر مشكلة تواجه المسرح دائما عدم توفر النصوص المسرحية وانعدام التمويل. ولذلك اقتصر خلال فترة على المسرح المدرسي. وفي سنة 1957 قدم عبدالمجيد القاضي مسرحية "السيد حنبص".

وأسس صالح مسيبلي في سنة 1958 "الهيئة العربية للتمثيل" من عمال شركة مصافي النفط البريطانية، فاعتبرت تطورا نوعيا في المسرح في مستعمرة عدن، إذ قدمت عروضا منتظمة دخلت فيها دماء جديدة على التمثيل المسرحي. وقد قدمت مسرحية "إغراء الشيطان" و"فتاتنا اليوم" و"اللقاء الأخير" و"هل قتلت أخي" و"جريمة في الليل" للمسيبلي تأليفا وإخراجا. كما قدمت مسرحية "ست البيت" من تأليف عمر بامطرف وإخراجه.

وبعد نجاح "الهيئة العربية للتمثيل" أنشأ جعفر مُحَمَّد علي فرقة أخرى للمسرح الكوميدي لاقت إقبال الجمهور وقدمت مسرحيات كوميدية مثل "السيد الدجال" و"جدو تزوج" و"ابني نينو" و"المصور" و"أبو الذهب" و"قعادة كرا".

وفي سنة 1961 تأسست فرقة هيئة الفنون والتمثيل التي قدمت على خشبة المسرح ثمان مسرحيات مثل المسرحية البوليسية "قتيلة الفندق". وكتب لها الفنان مُحَمَّد مرشد ناجي مسرحية كوميدية بعنوان "علي حسين طز البيسة". وبافتتاح التلفزيون في مستعمرة عدن سنة 1964 دخل المسرح مرحلة جديدة من تطوره[112].

وإذا كانت تكنولوجيا الصوت والصورة بواسطة السينما قد سحبت بعض الجمهور من المسرح، وهو جمهور كان ما يزال محدودا ولم تتوطد صلته الثقافية بالمسرح، فإن التلفزيون قد أدخل السينما والمسرح إلى البيت وسحب الجزء الأكبر من جمهور المسرح والسينما

---

[111] نفسه، ص. 41 . 44.

[112] نفسه، ص. 45 . 89.

وتوسع على حسابهما. إلا أن السينما والتلفزيون، بالإضافة إلى الراديو، قد أقحمت جمهور القادمين من أرياف مملكة الظلام في الثقافة الحديثة، وغرست فيهم بالتدريج قيما تربوية وثقافية لم يعهدوها، وفتحت عقولهم على ما يجري في العالم من حولهم من تطورات ومن اكتشافات وأحداث، ساعدت في استنارتهم وأخرجتهم من ظلام العصور الوسطى المخيم على مدنهم وقراهم وراء أسوار العزلة والتخلف، وخلقت عندهم طموحات وأشواق ومشاعر لم يألفوها من قبل، وجعلتهم جسورا للجديد في وطنهم، ورسلا للتغيير، فأصبح التناقض وجوديا بينهم وبين النظام الذي يفرض على قراهم الفقر والجهل وانعدام أية رعاية، فإما أن يتغير وإما أن يفرض عليهم البقاء خارج مملكة الظلام بلا عودة، مشردين في أصقاع الأرض يبحثون عن فرص للعمل وللحياة والحرية.

وإلى جانب تجديد لغة النثر من خلال الصحافة التي ازدهرت وانتشرت، وكذلك من خلال القصة القصيرة والرواية والمسرح، شهدت مستعمرة عدن أيضا تجديد لغة الشعر، في شعر مُحَمَّد عبده غانم ومُحَمَّد سعيد جرادة. لكن التجديد الشعري الأبرز يتمثل في شعر لطفي جعفر أمان، هذا الطائر الرومانسي والعاشق الروحاني المحلق بشفافية ونعومة في سماء الشعر العربي بلغة شعرية جديدة تفيض رقة وعذوبة وتستوحي الشعراء الرومانسيين، وبخاصة في مصر.

تتجلى موهبة لطفي جعفر أمان الشعرية في وقت مبكر من حياته بقصائد رومانسية فيها مسحة من يأس العاشق وحزنه. فمن مجموعته الشعرية الأولى "بقايا نغم":

يحفل الكون بالجمال وتهتز قلوبٌ من منصتٍ ومغني
عصرت خمرها من الأمل الغض ومن يانع المنى والتمني

دغدغتها يد الهوى فهي ما تبرح نشوى مع الحياة تغني
بين عقد الحسان والقدح الضاحك والزهر والغناء المرنِّ

غير قلب هناك أدركه اليأس وألقاه في غياهب حزن
وأنا الشاعر الذي عبد الحسن وصاغ القصيد فيه فنونا

وأنا العابـد الـذي في صـلاة الحـب أفـنى شـبابه المفتـونا
وأنا مـن نصـبت كـل جمـال قدسـيّ السـناء ربا حنـونا

أنا قيثـارة يحركهـا الحـب فتملـي علـى الوجـود الشـجونا
فـاسمعيني إذا شـدوت بحـبي فلكـم صـغت في هـواك اللحـونا

أمـس عيـد الميلاد مـا ضـاء شمـع فيـه أو فـاح زهـره البسـام
خفتـت شـهبه وغـاض شـداه وبكـى طـيره وجـف المـدام
كـان كالمـأتم الملبـد بالحـزن وكالصـمت سـاد فيـه الظـلام

أو في قصيدة النغم السجين:

يا هـــزار الـــروض مـــا أحـــلاك صـــفاقا تغـــني
مـــرح الأعطـــاف ريان الصـــبا حلـــو التثـــنِّي

ليتـــني مثلـــك صـــفاقا علـــى الغصـــن أغـــني
فـــأرى الـــدنيا، ومـــا فيهـــا أغاريـــدي وفـــني

وأرى الحبـــة تكفيـــني والقطـــرة تغـــني
كلمـــا أرســـلت آمـــالي إلى الأفـــق المديـــد

ردت الـــروح يـــد اليـــأس فشـــدت بالقيـــود
وتلفـــتُّ فـــلا نـــور ولا قلـــب يغـــني

أو من قصيدة "أسداف"

صـدف النـاس عـن شـكاتي وقـالوا نفثـات لشـاعر مكـروبِ
فنزفـت الجـراح في فجـة الصـمت وذوبـت فيَّ دائـي، نحيـبي
شـزَرا أرمـق الحيـاة فتصـلي بحديـد مـروع ولهيـب
بهجـتي بـددت رمـادا وقلـبي في فجـاج الأسـى حطـام خطـوب

ومن قصائد الحب والعشق والفرح قوله في قصيدة "غناء"

أنا إن داعبـــــــت أوتاري أرى العمـــــــر غنـــــــاء
وأرى الـــــــدهر إذا أنشـــــــدت آمـــــــالا وِضـــــــاء

فيغنيـــــــني فـــــــؤادي كيفمـــــــا شـــــــئت وشـــــــاء
مزهـــــــري قلـــــــبي وأوتاري هـــــــوىً ذاب صـــــــفاء

والطـــــلا لحـــــني الـــــذي يـــــروي المحبـــــين الضـــــماء
ههنـــــا العشـــــاق أفنـــــوا الليـــــل ضـــــما وعناقـــــا

غمـــــرتهم موجـــــة الأحـــــلام همســـــا واشـــــتياقا
فـــــاملأ الكـــــأس حبيـــــبي وأدرهـــــا نتســـــاقى

خمـــــرة تهفـــــو لهـــــا الأنفـــــس وجـــــدا واحتراقـــــا
هـــــاك قلـــــبي هـــــزه الحـــــب برفـــــق فأفاقـــــا

وتمضي المجموعة كلها على هذا النحو من التعبير المجدد في الشعر في اليمن، في القوافي والأوزان، يستوحي من الشعر العربي أجمل صيغ محاولات بداية التجديد في الوزن والقافية والصور والموسيقى، يترقرق رقة وعذوبة وفنا صافيا لا ينشغل بدون الحب واللحظات المحلقة فوق مصاعب الحياة العملية، يحيا للحب وللفن، يغني ويعيش ناسكا في محرابه، يفرح ويحزن، يتفاءل ويبأس، يسكره شهد الحياة ويأسره الجمال ويجتذبه التسبيح في محرابه. لا يرى له حياة غير التمتع والألم واليأس والحزن.

وفي مجموعته الثانية بعنوان "الدرب الأخضر" يخطو خطوة أخرى على طريق التجديد والتحرر من عبودية الوزن وتقاليد عمود الشعر العربي ويقترب من الشعر الحر. ففي قصيدته "طفل متسول" يمضي كأنه يستوحي تجربة بدر شاكر السياب في كتابة الشعر الجديد فيقول:

لا يا صغيري
كانت بلادي مرتع المتسولين
كانت وكنا مضغة المستعمرين

مستضعفين وواجفين
نستلهم الغيب البهيم
ونظل نرقد حالمين
بالغيب، بالغيب البهيم
ومواكب الأحرار
تعبر في جنون
تطوي الحزون
وتفتت الأطواد شامخة
وتعصف بالحصون
وأنا وأنت والقبائل
والعشائر والبطون
نستلهم الغيب البهيم
متخاذلين وقانعين متسولين

وهو في هذه المجموعة يغادر نزعته الشعرية التي تأخذ بمذهب الفن للفن، ليخوض في تجارب الحياة الاجتماعية ومعاناة الناس من حوله. ويناجي بلاده ويحثها على الانطلاق، في قصيدة غنائية شفافة غناها مُحَمَّد مرشد ناجي بلحن جديد بديع. أو يعبر عن انفعاله بغزو الفضاء وما يعكسه من تطور ومن قفزة معرفية وتكنولوجية إنسانية، أو يتحدث عن الشرق الجديد، أو يعبر عن ألمه ومعاناته حين طرده الاستعمار سنة 1951 إلى كينيا. ويواصل هذا الاتجاه الشعري في مجموعتيه التاليتين: "كانت لنا أيام" و"ليل إلى متى" التي توطِّدُ اتجاه التجديد الشعري. أما في مجموعته الأخيرة "إليكم إخوتي" فيغني للاجئين الفلسطينيين وينتحب مع الكارثة التي حلت بالعرب في يونيو 1967 ويحاكم الاستبداد والمستبدين، وينصف المظلومين ويعزف أعذب الألحان لبلاده.